

## الإتصال السياسي - نماذج الإتصال السياسي -

بقلم : هوق كازناف

تعريب فايزة يخلف ، مرشحة للماجستير  
ومراجعة الأستاذ الطاهر بن خرف الله

يمثل الإتصال السياسي ظاهرة صعبة التحليل بالنظر لغموض المصطلح من ناحية ، ولتعددية المعاني التي يمكن أن ترتبط بشطري هذا المصطلح : «الإتصال» و«السياسية» ، تعددية ناشئة من فهم واسع يصبح من خلاله الإتصال السياسي يعني كل اتصال هدفه السياسة . أو بتعريف أدق فإن الإتصال السياسي هو مجموع من التقنيات الحديثة المرتبطة بوسائل الاعلام سبر الآراء ، إشهار ، تسويق سياسي إلخ ...

ويرجع اختلاف تحليلات ظواهر الإتصال القائمة بين الحكام (رجال السياسة) ، الناخبين المحكومين ووسائل الإتصال الى تنوع منطلقات وصيغ العلوم الاجتماعية ، أو على الأقل اختلاف الهدف والمقاربة النظرية الخاصة بكل علم وهي التي تجعل من تحليلات الإتصال السياسي متباينة .

### الإتصال السياسي (تحليل متعدد)

يصطدم تحليل الإتصال السياسي بجملة من العراقيل الأبتولوجية ، وتميز في هذا الصدد ثلاثة أنواع من العراقيل ، أولها أن الإتصال السياسي يعتبر محل أهداف بحث متعددة ، أيضاً محل خطابات شارحة متعددة ، ومجازفات رمزية متعددة .

تظهر تعددية أهداف البحث جلياً حينما نحاول أن نصيغ تعريفاً محدداً للإتصال السياسي فهذا الأخير يمكن أن يكون في آن واحد مجموع من التقنيات ، جملة من الرسائل ، وأيضاً منظومة من العلاقات بين الفاعلين .

فما يمكن أن نطلق عليه «إتصال سياسي» يقترن بداية بجملة من التقنيات

المستعملة من طرف الفاعلين السياسيين ، المحكومين ، ومحترفي الاستشارة السياسية «للإتصال» بالناخبين ، هذه التقنيات هي في أغلب الأحيان مستعارة من التسويق ، سبر الآراء ، علاقات عامة وإشهار يضاف إليها تقنيات الإتصال التي يقال عنها أنها «جديدة» والتي تستعمل التكنولوجيات الالكترونية ، الإعلام الآلي ، والسمعي بصري في حقل السياسة .

الإتصال السياسي يمكن ان يعرف أيضاً بمجموع الرسائل المبثثة من طرف الحكام (رجال السياسة) بصفة عامة الى الناخبين استناداً الى بعض الدعائم التي تكون عبارة عن خطابات عامة مقابلات ، رسائل ، منشورات ، إلخ ...  
وإذا كان هذا التعريف يركز على محتوى المعلومات السياسية فإن التعريف السابق يركز أكثر على تطبيقات (عمل) قنوات البث فهي تركز على التتابع والتسلسل الكائن بين البلاغة والسياسة .

إن المتعمق في السياسة يجد نفسه مجبراً على اقتراح تعريف للإتصال السياسي ومن ثمة هدف ثالث من أهداف البحث ، يسلط هذا التعريف الضوء على منظومة العلاقات ، التفاعلات ، وانتقال المعلومات بين مختلف الفاعلين في اللعبة السياسية وخاصة بين رجال السياسة ، الناخبين ، الصحافيين ومحترفي النصح السياسي ، وللإشارة فإن هذا التعريف هو محاولة لالتقاء كل الحدود المنطقية بين الإتصال السياسي والسياسة .

هذه التعددية في أهداف البحث ، والتعددية للخطابات العامة حول الإتصال السياسي ولدت نقاشاً حاداً بين رجال السياسة ، الصحافيين والمستشارين السياسيين بخصوص هذا المفهوم .

عموماً يمكن تصنيف مختلف النظريات حول الإتصال السياسي في أحد النماذج النظرية الستة (6) التالية : النموذج الاستراتيجي ، النموذج النسقي أو المنظوماتي ، النموذج السلوكي ، النموذج النقدي ، النموذج الحواري ، وأخيراً النموذج التقني .  
وفيا يلي استعراض مختصر لكل نموذج على حدى :

#### 1 - النموذج الاستراتيجي (le modèle stratégique) :

أ - مميزات النموذج : قبل أن تعرف العبارة «إتصال سياسي» الرواج الذي



تعرفه حالياً ، اجتهد بعض المؤلفين في وصف تبادل المعلومات السياسية بين الحكام والمحكومين ، ويمكن إدراج أعمال هؤلاء المؤلفين في اطار ما يسمي بالنموذج الاستراتيجي للإتصال السياسي وتستعمل كلمة «استراتيجي» بمعنى : الإتصال الموجه الى أهداف مطابقة ومكيفة ومصالح الفاعل المتصل ، كما تشير الاستراتيجية الى عملية تحديد بعض الأهداف وتسخير كل الوسائل المتاحة لبلوغها (الأهداف) بنجاح .

يهتم النموذج الاستراتيجي خاصة بمجالتي تقديتين في الحياة السياسية : الحرب ، والاستيلاء على السلطة ، واذا كان كلوزويت (Clausewitz) يرى بأن الحرب هي امتداد للسياسة بوسائل وأساليب أخرى . فإن لهذا الربط والتتابع بين الحرب والسياسة آثاره على تحليل الإتصال السياسي ، فبالانتصار في الحرب أو الاستيلاء على السلطة يتوجب على الحكام نقل وبث رسائل قادرة على توجيه آراء وسلوكات المحكومين الوجهة التي يريدونها .

ويمكن القول أن هذا الفهم الاستراتيجي للإتصال السياسي تحدد عندما ركز بعض المؤلفين على الحرب والاستيلاء على السلطة كما سبق وان ذكرنا ومن بينهم (Sun Tzu , Von Clausewitz) وماكيافيل (Machiavel) الذي يرى أن الأمراء يجب أن يتقنوا فن الحرب وأن يكون ذلك هو همهم الوحيد .

يفترض النموذج الاستراتيجي أيضاً فكرة عدم التساوي بين مختلف المنضمين لعملية الإتصال السياسي ، فالمرسل في الاتصال هو عادة ما يكون الحاكم ، قائد الحرب ، أو من يحاول الاستيلاء على السلطة ، أو أيضاً من يجبر على الاحتفاظ بهذه السلطة ، أولئك فقط الذين لهم الحق في أخذ الكلمة والتعبير عن آرائهم ، وإذا كان المرسل لا ينتمي الى دائرة الحكام هاته ، فسوف يكون حتماً مسيراً من طرفهم ، أو من طرف قائد الحرب ، إذ يستعمل هذا الأخير حسب (Sun Tzu) شبكة من الفاعلين تكلف بنشر معلومات خاطئة تمس بالجيش المنافس ، علماً ان الإشاعة لها دفع كبير عندما يروجها ممثل الشعب (العدو) المنافس ، وهذا يعني أنه في آخر المطاف يبقى مهمة الإرسال الى الحاكم فقط .

وإذا كان الحكام في النموذج الاستراتيجي يلعبون دور المرسلين ، فإن المحكومين في هذه الحالة لا يتعدوا أن يكونوا متلقين سلبيين للإتصال ، متعرضين دائماً للرسائل السياسية التي تترك أثرها على آرائهم وسلوكاتهم . فإما أن ينخرطوا ويؤازروا الأمير ،

أو يعملوا على احباط الجيوش المضادة ، أو يصوتوا لصالح مرشح معين ، إلخ ...  
وتكمن فائدة الإنتاج النظري المقترن بالنموذج الإستراتيجي في الدراسة المفصلة  
لمختلف الوسائل المستعملة من طرف الأمير للوصول الى أهدافه ، ولعل كتاب (sun  
tzu) خير دليل على فائدة هذا النموذج من الناحية النظرية ، فهذا المؤلف وعنوانه  
«فن الحرب» (l'art de la guerre) يعتبر معالجة حقيقية للاتصال وتلاعب مناورة رجال  
السياسة الذين يسعون الى تحسين صورهم في نظر الناخبين ، أو تشويه صور  
المنافسين . كل ما من شأنه تحويل ، توجيه ، حجب (ستر) أو تضخيم حقيقة ما ،  
المهم هو بلوغ المنتهى .

### حدود النموذج الإستراتيجي

حدود هذا النموذج هي نفسها حدود المذهب البراغماتي ، فهي بداية حدود النظام  
السياسي ، حيث لا دخل للعقل (la raison) في سيورة الإتصال إذ أن الحكام في  
توجيههم للمحكومين يركزون على مشاعرهم وأحاسيسهم وليس على قدراتهم الفكرية ،  
وتتجسد تطبيقات الاتصال في هذا النموذج في الدعاية التي تلعب على لاعقلانية  
الجمهير أو الحشود l'irrationalité des foules عوض عقلانية الأفراد rationalite  
des individus .

### 2 - النموذج النسقي أو المنظوماتي (modèle systémique) :

الاتصال والنظرية العامة للانساق : ظهر التحليل النسقي غداة الحرب  
العالمية الثانية ، وبعد الأعمال التأسيسية لـ Norbert Wiener منظر علم التحكم  
المعلوماتي (cyberitique) هذا التخصص الذي إقترح لدراسة السير المقارن للآلات  
والحيوانات ، وينر أخذ تحليل عملية رمي المدافع خلال الحرب كنقطة إنطلاق في  
بحثه ، ومن ثمن صاغ قانونه المعروف حول رجوع الصدى ، هذا القانون  
الذي أصبح مفهوماً جوهرياً في التحليلات النسقية ، علم التحكم ، وكذلك في دراسة  
الضبط والاتصال داخل الانساق الميكانيكية والحية ، اتبعت هذه النظرية بنظرية  
عامة للانساق مع ludwrig von bertalony ، وتهدف هذه النظرية الى التعريف بالمبادئ  
العالمية المحددة لسير وعمل جميع الانساق سواءاً أكانت سوسولوجية (اجتماعية) ،  
ميكانيكية أو فيزيائية .



وقد طور كلود شانون تلميذ Wiener ، نظرية أخرى في إطار هذا النموذج ، وهي النظرية الرياضية للاتصال ، والتي تقوم أساساً على فكرة السير الخطي للمعلومة بين المرسل والمستقبل .

ويحلل النموذج النسقي الاتصال السياسي بتعويضه في مجموعة الانساق (النسق السياسي ، الاقتصادي ، الاجتماعي ، الثقافي ...) المكونة من طرف المجتمع ، والاتصال السياسي حسب هذا النموذج يعرف مجموعة من التبادلات المعلوماتية من ناحية بين المكونين المختلفين للنسق السياسي ، ومن ناحية أخرى بين النسق السياسي ذاته ومحيطه .

يخضع الانساق لثلاث مبادئ أساسية : أولاً مبدأ الترابط المتبادل الذي يفيد بأن مختلف (الانساق) مكونات النسق السياسي تعتمد في تواجدها على بعضها البعض وأن النسق نفسه يتفاعل مع المحيط الذي يتواجد فيه ، ثانياً مبدأ الكلية totalité والذي يقدر العناصر المكونة له وأخيراً مبدأ رد الفعل الذي يبين كيف أن ظاهرة ما تؤثر على سبب وقوعها ، هذا الأخير الذي يؤثر بدوره على الظاهرة .

### تطبيقات هذا النموذج في الميدان السياسي :

يمثل هذا النموذج بدراستين معروفتين : دراسة ألموند Almond وكولمان Coleman ودوتش Deutsch ، بحوث ألموند وكولمان مستنبطتان من التحليل الوظيفي ، والاتصال السياسي في هذه الحالة وظيفة سياسية مميزة من وظائف التعبئة والتجنيد ، هذه الوظيفة للاتصال تكشف عن أهمية كبرى بالنسبة للنسق (النظام) السياسي ككل .

وتحلل هذه الوظيفة إستناداً الى أربعة مقاييس : تجانس المعلومة السياسية ، حركيتها وأيضاً كثافة ووجية التدفق ، هذه المقاييس الأربعة مجتمعة تسمح للمفكرين بتطوير تحليل مقارنة للأنظمة السياسية واجراء نوع من التفرقة بين الأنظمة الديمقراطية والشمولية أو حتى بين البلدان المصنعة والسائرة في طريق النمو كل هذا استناداً الى نظام الاتصال السياسي في كل نظام .

أما دوتش ، - وفي نفس هذا الإطار - فيعرف الاتصال السياسي بجملة من التدفق المعلوماتي سواء من خارج النظام السياسي أو من داخله أو من كلاهما معاً ،

هذا الندفق الذي يمر قبل الوصول الى مركز القرار بعدة مراحل يتم فيها إنتقاء وتصفية ما هو قابل للمرور .

ويمكن القول أن النموذج النسقي وحسب J.M. cottetet قد أعطى للاتصال الأهمية التي يستحقها فلا طالما فقد هذا المفهوم طابعه العلمي مع البحوث والدراسات الأخرى .

### 3 - النموذج السلوكي (le modèle comportementaliste) :

الإطار النظري للنموذج السلوكي : يجد التكوين النظري لهذا النموذج ، جذوره الأساسية في دحض نظرية «الحقنة تحت. جلدية» التي طبعت بحوث الإتصال في الثلاثينات والأربعينات مع كل من هارولد لاسويل وبول لازرسفيلد ، والتي كانت تحلل المجتمع باعتباره مجتمعا جماهيزيا مكونا من أفراد منزلين وسليبين ، تحقن وسائل الاعلام آرائهم ومواقفهم دون أن يكون لهؤلاء أية مقاومة .

وفي هذا الإطار يقترح النموذج السلوكي برنامج من البحوث يهدف الى اثبات أو نفي العلاقة بين وسائل الاعلام والمجتمع كأسلوب منهجي ، وقد حدد هذا البرنامج بسؤال لاسويل المعروف من يقول ماذا ؟ لمن ؟ بأية وسيلة (قناة) ؟ وبأي تأثير ؟ هذا السؤال الذي يسمح للباحث بتجزئة وتحليل أي حالة من حالات الإتصال ، وخاصة أفعال الإتصال السياسي ، هذا الأخير الذي يعرف حسب هذا النموذج بكونه تنظيم يأخذ بعين الاعتبار مرسل (من ؟) رسالة (ماذا ؟) مستقبل (من ؟) وسيلة اعلامية (بأية قناة) ونتائج معينة (بأي تأثير ؟) ، يقدم هذا الوصف للاتصال كسيورة من الانتقال الخطي للمعلومة ، تركز خاصة على مسألة التأثير التي أصبحت جوهرية (مركزية) في جميع الدراسات التي جاءت بعد الحرب في إطار هذا النموذج النظري .

وقد كانت بداية دراسة المؤلفين في هذا الحقل المميز أثار الدعاية المشاعة أثناء الحربين العالمتين الأولى والثانية (دراسات لاسويل) وبعد ذلك انتقل التركيز في ميدان البحث الى ما يسمى : بـ «الإتصال الإنتخابي» على الجماهير مع بول لازرسفيلد ومركزه الشهير للبحوث في كلومبيا «مكتب تطبيقات البحوث الاجتماعية ، والذي أسفر عن



مجموعة من البحوث توصلت تدريجياً الى تأكيد ما يعرف بنظرية «التأثيرات المحدودة» ، ومن ثمة تبيان ميكانيزمات دفاع الأشخاص المعرضين لوسائل الإعلام ، يمكن أن تترجم هذه الميكانيزمات في قوة الانتقاء ، في الانتقاء الادراكي وفي تخزين المعلومات المنتقاة من طرف الأفراد ..

كما أظهرت هذه الدراسات أيضاً مجموعة من المتغيرات (variables) كالسن ، الإنتماء السياسي أو شبكات العلاقات الشخصية (الداخلية) والمتداخلة التي تحد من تأثير الوسائل الاعلامية ، وقد ركزت هذه البحوث أيضاً على ميكانيزم «التدفق الثنائي للاتصال» ، هذا التدفق الذي يلعب بموجبه قادة الرأي دور الوسيط بين وسائل الاعلام والجمهور .

فائدة وحدود هذا النموذج : يظل هذا النموذج الصيغة الوحيدة التي سيطرت على بحوث الاتصال منذ الحرب العالمية الثانية ، والتي وصفها فرانسيس بال بالطابع العملي للسؤال ، البرنامج question-programme الذي أتى به لاسويل ، والذي يتميز بعدم تحديد وتجزئة حقل البحث الى حقول بحوث تحتية متنوعة : حقل دراسة المرسلين ، دراسة المتلقين ، دراسة تأثيرات الرسائل ، دراسة قنوات إنتقال المعلومة ... وما يضمني على هذا النموذج طابع الريادة والتفوق مقارنة بالنماذج الأخرى هو أنه ركز على مصداقية وسائل الاعلام وزيادة على تأثيراتها .

#### 4 - النموذج النقدي (le modèle critique) :

ترجع أصول هذا النموذج النظري الى مدرسة فرانكفورت والى أعمال J. Habermas و Theodor W. Adorno و Marc Horkheimer وأيضاً Herbert Marcuse والى كل الفلاسفة الذين كونوا مشروع متابعة المؤلف الذي بدأه الموسوعيون في القرن XVIII ، حيث كان تركيزهم كبيراً على مفهوم «العقل» في التصور الموسع للفلسفة الألمانية ، فالاتصال بالنسبة إليهم ليس مجرد انتقال للمعلومات بين مرسل ومتلقي ، أي ليس مجرد سيرورة لتدفق الرسائل ، وإنما هو مجموعة شروط لإنتاج حقيقة إجتماعية أو سياسية معينة ، هذه الحقيقة تتشكل من خلال التعامل بين طرفين ، تعامل يقوم أساساً على إنتاج المعاني والرموز وتلعب فيه اللغة ، الحوار ، الحجج دوراً رئيسياً .

أطروحة التأثيرات القوية la thèse des effets puissants في النموذج النقدي إذا كان

النموذج السلوكي وخاصة الدراسات الامبريقية لبول لازرسفيلد تركز على «التأثير المحدود» ، فان النموذج النقدي يركز بالعكس على أطروحة «التأثيرات القوية» لوسائل الاعلام ، هذه التأثيرات تظهر جلياً على المدى البعيد ، ولعل تتبع تأثيرات وسائل الاعلام على الآراء السياسية والاجتماعية للأفراد على مدى بعيد خير دليل على ذلك . وإذا كان النموذج السلوكي يركز على تغيير الآراء في عملية التأثير ، فان النموذج النقدي يرى أن التركيز يجب أن يكون على عملية الاستقرار في الآراء ، فهي كذلك مهمة في تقييم التأثير .

#### 5 - النموذج الحواري (le modèle dialogique) :

ظهر هذا النموذج النظري لوصف حقيقة الاتصال العصري في المجتمع الرأسمالي وتحديد الاغتراب الذي يميزها ، فالاتصال حسب هذا النموذج هو تبادل للحجج بين مختلف الأفراد المشكلين للمجتمع ، ومن هنا تظهر الميزة الأولى للاتصال السياسي حسب هذا النموذج وهي الاعتماد على العقل والعقلانية ، إذ أن المعلومات التي يتم تبادلها هي في الحقيقة عبارة عن جملة من الحجج العقلانية والمنطقية .

الميزة الثانية للاتصال السياسي ودائماً حسب هذا النموذج هي ما يعرف بالحركية المعكوسة أو المقلوبة (la reversibilité) للأدوار ، فكل فرد يمكن أن يكون مرسل أو مستقبل في سيرورة الاتصال (الحوار) ، وبهذا فإن النموذج الحواري يختلف الى حد التضاد مع النموذج الاستراتيجي في هذه النقطة ، فحسب النموذج الاستراتيجي فإن عملية ارسال موكلة الى شريحة الفاعلين (رجال السياسة) فقط .

الميزة الثالثة للاتصال السياسي هي السعي الى خدمة الصالح العام ، ولهذا يستعمل الحجج الأكثر عقلانية لبلوغ هذا الهدف .

وتجدر الاشارة الى أن بعض معالم هذا النموذج يمكن ايجادها حسب المحللين في النظام السياسي للقرن XVIII ، حيث عمدت البورجوازية الى اختراع ما اشتهر آنذاك وعرف بمبدأ الاشهار principe de publicite لحماية المجتمع المدني من سيطرة الدولة وبمقتضاه يجب على الدولة أن تشهر كل القرارات السياسية التي تتخذها ، علنية أمام العامة ، حتى تصبح هاته القرارات موضوع أخذ ورد ، موضوع نقاش وتعليق حر من طرف الجماهير .



النموذج التقني : عرف هذا النموذج رواجاً كبيراً ابتداءً من الستينات ، وأصبح له تأثير كبير على البحث في الاتصال السياسي ، ويرجع أساساً الى أعمال مارشال ماك لوهان فحسبه في عملية تأثير وسائل الاعلام تمثل التكنولوجيا المسيطرة في مرحلة معينة المتغير المستقل على سبيل المثال (طباعة ، راديو ، أو تلفزيون) ، في حين تمثل طريقة ترتيب المعلومة المتغير التابع ، فالمضمون الاعلامي لا يؤثر وحده أو يتدخل أيضاً هيكل الاعلام وتنظيماته في هذه العملية .

خاتمة : يبقى النموذج السلوكي حسب النقاد ، هو النموذج المسيطر على بحوث الاتصال السياسي وذلك نظراً لطبيعة تحليلاته الخاصة .